﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾﴾ [البقرة: 172]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

المـُزاوَجَةُ بَينَ ذَمِّ المـُشْرِكينَ وتَأكيدِ الإنْعامِ عَلى المـُؤْمِنينَ

ذَكَرَ المفسِّرُونَ أقوالا مُخْتَلِفَةً في وجه المـُنَاسَبَةِ، قال ابْنُ عَرَفَةَ: "تَقْرِيرُ مُنَاسَبَتِهَا لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ لَمّا تَضَمَّنَ الكَلَامُ السَّابِقُ ذَمَّ المشْرِكِينَ، لِكَوْنِهِمْ لَيْسُوا أَهْلًا لِأَنْ يُخَاطَبُوا بِشَيْءٍ مِنَ الأَخْبَارِ، ولَا بِشَيْءٍ مِنَ الأَوَامِرِ والنَّوَاهِي، عَقَّبَ ذَلِكَ بِخِطَابِ المـُؤْمِنِينَ بِهَذا الأَمْرِ المـُسْتَلْزِمِ لِكَوْنِهِمْ أَهْلًا لِلْمُخَاطَبَةِ.

وَقَرَّرَ الفَخْرُ وجْهَ مُنَاسَبَتِهَا بِوَجْهٍ لا يَنْهَضُ[1]، وقَوْلُ الرَّازِيّ الّذي لَمْ يَرْتَضِهِ ابْنُ عَرَفَة: هُو "أَنَّ اللَّه سُبْحَانَهُ وتعالى تَكَلَّمَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ إلى هاهنا، في دَلَائِلِ التَّوْحِيدِ والنُّبُوَّةِ، واسْتَقْصَى في الرَّدِّ على اليَهُودِ والنَّصَارَى، ومِنْ هُنَا شَرَعَ في بَيَانِ الأَحْكَامِ"[2].

التَّحَوُّلُ إلى التَّخْصيصِ في الخِطابِ بَعْدَ التَّعْميمِ

وَأَلْمَحَ البَيْضَاوِيُّ إلى أَنَّ المنَاسَبَةَ فِيهَا التَّحَوُّلُ إلى التَّخْصِيصِ في الخِطَابِ بَعْدَ التَّعْمِيمِ: "لَمّا وسَّعَ الأَمْرَ على النَّاسِ كَافَّةً، وأَبَاحَ لَهُمْ مَا في الأَرْضِ سِوَى مَا حَرّمَ عَلَيْهِمْ، أَمَرَ المـُؤْمِنِينَ مِنْهُمْ أَنْ يَتَحَرَّوْا طَيِّبَاتِ مَا رُزِقُوا ويَقُومُوا بِحُقُوقِهَا فَقال: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ على مَا رَزَقَكُمْ وأَحَلَّ لَكُمْ"[3].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

الأكل تناول ما يقيم الصّلب، ويحفظ الحياة

1) ﴿كُلُواْ﴾: مِنَ الجَذرِ (أكل)، والأَكْلُ: تَنَاوُلُ المَطْعَمِ، قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرّعد: 35][4]، أَكَلَ الطَّعَامَ يأْكُلُه أَكْلًا[5]، الأَكْلُ:

(1) تفسير ابن عرفة: 2/505.
(2) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/190.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 1/119.
(4) الرّاغب، المفردات: (أكل).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (أكل).

المَصدرُ[1]، والأُكْلُ: ما أُكِلَ[2]، والمُرَادُ بِالأَكْلِ الانْتِفَاعُ مِنْ جَمِيعِ الوُجُوهِ، وقِيلَ: هُوَ الأَكْلُ المعْتَادُ[3]، و"يُقال في الأمْرِ: كُلْ، بِحَذفِ الهَمْزَةِ، قال اللّه تعالى: ﴿كُلُوا واشْرَبُوا﴾، وبعضُ العرب يقول: اُؤْكُلْ، بهمزة.

ويقال: إنّ حقيقة الأَكْل التَّنَقُّصُ، ويقال: أَكَلَت النّارُ الحطبَ"[4]، والأصل: اُؤكُلوا، فالهمزة الأولى هَمزةُ وصْل، والثّانيّة فاء الكلمة، إلّا أنّهم حذَفوا الفاءَ، فاسْتَغْنَوْا عَنْ همزةِ الوَصلِ، لتَحَرُّك ما بعدَها، والحذفُ هنا شاذٌّ ليس بقِيَاسٍ، ولم يأتِ إلّا في (كُلْ، وخُذْ، ومُرْ)، قال ابن مالك في (لاميّة الأفعال):

وَشَذَّ بالْحَذْفِ: مُرْ وخُذْ وكُلْ، وفَشَا***وأُمْرْ، ومُسْتَنْدَرٌ: تَتْمِيمُ خُذْ وكُلَا[5]

الطّيّبُ ما تَسْتَمْرِئُه الحَوَاسُّ، وتستلذُّهُ النّفْسُ

2) ﴿طَيِّبَٰتِ﴾: من الجَذر (طيب)، وأَصْلُ المَادَّةِ يَدُلُّ على خِلَافِ الخَبِيثِ[6]، والطَّيِّبُ: مَا تَسْتَلِذُّهُ الحَوَاسُّ، ومَا تَسْتَلِذُّهُ النَّفْسُ، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[7]، وهُوَ مَا يُسْتَلَذُّ ويُسْتَطَابُ[8]، ومثله في قوله تعالى: ﴿أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، أَيْ مِنْ جِيَادِ مَكْسُوبَاتِكُمْ أَوْ مِنْ حَلَالِهَا[9]، والطِّيبُ -بِكَسْرِ الطّاءِ المَمدودَةِ- مِنْ (طابَ)، جَمْعُه: أطيابٌ وطُيوبٌ: كُلُّ ذي رائِحَةٍ عَطِرَةٍ، يُتَطَيّبُ به، والطَّيّبُ -بفتحٍ فَكَسْرٍ- جَمْعُه: طيِّباتٌ: ما تَسْتَلِذُّه الحَواسّ والنَّفسُ، والطّاهرُ النّظيفُ، وقد قال تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء: 43][10].

الرّزق يُطلقُ على العطاء الإلهيّ، دُنْيويًّا كان أمْ أُخْرويًّا

3) ﴿رَزَقْنَٰكُمْ﴾: مِنَ الجَذْرِ (رزق)، وأَصْلُ المَادَّةِ يَدُلُّ على عَطَاءٍ

(1) السّمين، عمدة الحفّاظ: (أكل).
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (أكل).
(3) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/215.
(4) نشوان الحميريّ، شمس العلوم: 1/298.
(5) الصّعيديّ، فتح المتعال على لاميّة الأفعال، ص: 268، وتفسير الرّوح والرّيحان: 3/116.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (طَيَبَ).
(7) الرّاغب، المفردات: (طَيَبَ).
(8) الواحدي، التَّفْسِير البَسِيط: 3/483.
(9) الخوارزمي، المغرب في ترتيب المعرب، ص: 296.
(10) قلعجيّ وقنيبيّ، معجم لغة الفقهاء، ص: 294.

لِوَقْتٍ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ غَيْرُ المَوْقُوتِ، فَالرِّزْقُ: عَطَاءُ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ[1]، ويُقَالُ لِلْعَطَاءِ الجَارِي تَارَةً، دُنْيَوِيًّا كان أَمْ أُخْرَوِيًّا[2]، ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ [البقرة: 3]، أَيْ أَعْطَيْنَاهُمْ، وأَنْعَمْنَا عَلَيْهِمْ بِهِ[3]، "والرَّزْق المَصدَرُ، بِفَتْح الرَّاء، وكلُّ مَن أَجْرَيْتَ عَلَيْهِ جِرايَةً فقَد رَزَقْتَه رَزْقًا، واللّه ﷻ الرَّازِق والرَّزّاقُ، وجَمْعُ الرِّزق أَرْزاقٌ، والرِّزق: الشُّكْر، لُغَةٌ سَرَوِيَّةٌ[4].

4) ﴿وَٱشْكُرُواْ﴾: من الجَذر (شكر)، وأَصْلُ المَادَّةِ يَدُلّ على الثَّنَاءِ على الإِنْسَانِ بِمَعْرُوفٍ يُولِيكَهُ، والشُّكرُ: الرِّضَا بِاليَسِيرِ[5]، وهو: عِرفانُ الإِحْسَانِ لِصَاحِبِهِ، ونَشْرُه، ضِدُّ الكُفْرِ، وهُوَ: نِسْيَانُ النِّعْمَةِ وسَتْرُهَا[6].

ما في القُرْآن من (الشُّكر)، هو شُكْر النّعْمة، والثّناء على المنعم

وَكُلُّ مَا في القُرْآنِ مِنَ التَّرْكِيبِ، هُوَ مِنْ شُكْرِ النِّعْمَةِ[7]، و"الشَّكورُ من أسماءِ اللّه جلّ وعزّ، مَعْنَاهُ أَنّه يزكو عِنْده القليلُ من أَعمال العِبادِ، فيُضَاعفُ لَهُم بِهِ الجَزَاءَ، قَالَ ذَلِك أَبُو إِسحاقَ الزَّجّاجُ، وأَمّا الشّكورُ من عباد اللّه، فهُوَ الَّذِي يَجتهدُ في شُكرِ رَبِّه، بِطَاعَتِه وأدائِه مَا وُظِّفَ عَلَيْهِ من عِبَادَته، قَالَ اللّه جلّ وعزّ: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ: 13]، نُصِبَ قَوْلُهُ: (شكرًا) لِأَنَّهُ مفعولٌ لَهُ، كَأَنَّهُ قَالَ: اعْمَلُوا للّه شكرًا، وإِن شِئْت كَانَ مَنْصُوبًا على أَنّه مصدرٌ مؤكِّدٌ"[8].

5) ﴿تَعْبُدُونَ﴾: مِنَ الجَذْرِ (عبد)، وأَصْلُ المَادَّةِ يَدُلُّ على لِينٍ وذُلٍّ[9]، والعُبُودِيَّةُ: إِظْهَارُ التَّذَلُّلِ، والعِبَادَةُ أَبْلَغُ مِنْهَا؛ لِأَنَّهَا غَايَةُ

العبادةُ غايةُ التّذلُّل، ولا تكون إلّا لله الّذي لهُ غايةُ الإفْضال

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رَزَقَ).
(2) الرّاغب، المفردات: (رَزَقَ).
(3) السّمين، عمدة الحفّاظ: (رزق).
(4) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (رزق).
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شكر).
(6) الرّاغب، المفردات: (شكر).
(7) ابن منظور، لسان العرب، جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكر).
(8) ابن منظور، لسان العرب، جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (شكر).
(9) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عبد).

التَّذَلُّلِ، ولَا يَسْتَحِقُّهَا إلّا مَنْ لَهُ غَايَةُ الإفْضَالِ، وهُوَ اللَّهُ تعالى؛ ولِهَذا قال: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23][1].

❁ المَعْنَى الإجْمَالِيُّ:

الشُّكرُ قَيْدُ النِّعمَةِ المُسْداةِ من ربّ الأرضِ والسّماواتِ

يَا أَيُّهَا الّذينَ صَدّقُوا اللَّهَ ورَسُولَهُ، وأَقَرُّوا لِلَّهِ بِالعُبُودِيَّةِ، وأَذْعَنُوا لَهُ بِالطَّاعَةِ، كلوا مِنْ حَلَالِ الرِّزْقِ الذي أَحْلَلْنَاهُ لَكُمْ، فَطَابَ لَكُمْ بِتَحْلِيلِي إيَّاهُ لَكُمْ - مِمَّا كُنْتُمْ تُحَرِّمُونَ أَنْتُمْ ولَمْ أَكُنْ حَرَّمْتُهُ عَلَيْكُمْ - مِنَ المطَاعِمِ والمَشَارِبِ، وأَثْنُوا على اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ مِنْكُمْ، بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم على النِّعَمِ الَّتِي رَزَقَكُم، وطَيَّبَهَا لَكُمْ، إنْ كُنْتُمْ مُنْقَادِينَ لِأَمْرِهِ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ، تعبدونه وحده لا شريك له[2].

❁ الإيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

نُكتةُ تأكيدِ الأَمْرِ بالأكلِ في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ﴾:

المأكلُ والمشربُ من القضايا التي يجبُ اتِّباعُ الشَّريعةِ فيها

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: "مُؤَكِّدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: 168]"[3]، وكان النِّدَاءُ إلى النَّاسِ الّذينَ كان مِنْهُمْ مَنِ اتَّبَعَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ[4] في الآيةِ الأولى، ثمَّ توجَّه إلى خصوصِ المؤمنين؛ فَتَكْرَارُ الأَمْرِ "تَأْكِيدٌ لِلْأَمْرِ الأَوَّلِ"[5]؛ فَإِنَّ مَأْكَلَ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ بَيَانُ حَلَالِهِ وحَرَامِهِ، مِنَ القَضَايَا الكَبِيرَةِ التي تستلزمُ التَّأكيدَ؛ لِمَا وقَعَ فِيهِ مِنْ زَيْغٍ وافْتِرَاءٍ.

سِرُّ الانتقالِ من نداءِ عمومِ النَّاسِ إلى نداءِ خصوصِ المؤمنين:

تَشْرِيفُ المُؤْمِنِينَ بِالخِطَابِ؛ لأنَّهُمُ المَعْنِيُّون بِالحَلالِ والحَرامِ

"لَمَّا كان لَفْظُ ﴿ٱلنَّاسُ﴾ يَعُمُّ المؤمِنَ والكَافِرَ، مَيَّزَ اللَّهُ المؤمِنِينَ بِهَذا النِّدَاءِ، تَشْرِيفًا لَهُمْ وتَنْبِيهًا على خُصُوصِيَّتِهِمْ"[6]، فعَدَلَ عَنْ

(1) الرّاغب، المفردات: (عبد).
(2) ابن جرير، جامع البيان: 3/316-317.
(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/108-109.
(4) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/506.
(5) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/215.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/109.

خِطابِ النّاسِ العامِّ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ إلى خِطابِ المُؤمِنينَ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، وخَصَّ المؤمِنينَ هُنَا بالذِّكرِ تَفضيلًا[1].

وقد خَصَّ المؤمِنينَ بالخِطابِ لِأَنَّهُمْ "لا يَتَّبِعُونَ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ، إنّما يَتَّبِعُونَ شَرْعَ الرَّحْمَنِ"[2]، وهُمُ الّذينَ يَنْتَفِعُونَ بالتَّشْرِيعِ دُونَ سِوَاهُمْ، فإنّما جاءَ الأَمْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ خَاصَّةً، بَعْدَ الأَمْرِ العَامِّ؛ "وَذَلِكَ أَنَّهُمْ هُمُ المنْتَفِعُونَ على الحَقِيقَةِ بالأَوَامِرِ والنَّوَاهِي، بِسَبَبِ إيمَانِهِمْ، فَأَمَرَهُمْ بِأَكْلِ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، والشُّكْرِ لِلَّهِ على إنْعَامِهِ، بِاسْتِعْمَالِهَا بِطَاعَتِهِ، والتَّقَوِّي بها على مَا يُوصِلُ إلَيْهِ، فَأَمَرَهُمْ بِمَا أَمَرَ بِهِ المرْسَلِينَ في قَوْلِهِ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون: 51]"[3].

غرضُ الأَمْرِ في قولِه تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ﴾:

الأَمْرُ على إطلاقِه في الآيةِ الكريمةِ هو "أَمْرُ إباحَةٍ؛ لا نَدْبٍ ولا إيجابٍ"[4]، فالأَكْلُ "قَدْ يكون واجبًا، وذَلِكَ عِنْدَ دَفْعِ الضَّرَرِ عَنِ النَّفْسِ، وقَدْ يكون مَنْدُوبًا، وذَلِكَ أَنَّ الضَّيْفَ قَدْ يَمْتَنِعُ مِنَ الأَكْلِ إذا انْفَرَدَ ويَنْبَسِطُ في ذَلِكَ إذا سُوعِدَ، فَهَذا الأَكْلُ مَنْدُوبٌ، وقَدْ يكون مُبَاحًا إذا خَلَا عَنْ هَذِهِ العَوَارِضِ، والأَصْلُ في الشَّيْءِ أَنْ يَكونَ خَالِيًا عَنِ العَوَارِضِ، فَلَا جَرَمَ كان مُسَمَّى الأَكْلِ مُبَاحًا، وإذا كان الأَمْرُ كَذَلِكَ كان قَوْلُهُ: (كُلُوا) في هَذا المَوْضِعِ لا يُفِيدُ الإيجَابَ والنَّدْبَ، بَلِ الإبَاحَةَ"[5].

الأَمْـرُ في الآيَـةِ يَدُلُّ عَلى مطلقِ الإبَاحَةِ

المرَادُ بِإِبَاحَةِ الأَكْلِ عمومُ الانْتِفَاعِ:

اختُلِفَ في المرادِ بالأمرِ بالأكلِ في الآيةِ الكريمةِ، فقيل: الأكلُ المعهود، وقيل: "الانْتِفَاعُ بِهِ، ونَبَّهَ بِالأَكْلِ على وُجُوهِ الانْتِفَاعِ، إذْ كان

خُـصَّ الأكـلُ بِـالـذِّكـرِ لِأَنَّـهُ أَعْظَمُ المنَافِعِ

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 2/215.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/506.
(3) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 81.
(4) الواحديّ، التّفسير البسيط: 3/495.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/190.

الأَكْلُ أَعْظَمَهَا، إِذْ به تَقومُ البِنْيَةُ، قِيلَ: وهَذا أَقْرَبُ إلى المعْنَى، لِأَنَّهُ تعالى مَا خَصَّ الحِلَّ والحُرْمَةَ بِالمَأْكُولَاتِ، بَلْ بِسَائِرِ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنْ أَكْلٍ وشُرْبٍ ولُبْسٍ وغَيْرِ ذَلِكَ"[1]، وعليه يكون "الأَمْرُ هُنَا لِلْعُمُومِ إِلَّا مَا سَوْفَ يَسْتَثْنِيهِ تَعالى"[2].

توجيهُ تَخْصِيصِ الطَّيِّبات بِالذِّكْرِ:

دفـعُ تـوهُّـمِ منعِ التَّـوسّعِ في الطَّيِّـبـاتِ، وتَـوسيع دائِـرَةِ الحلالِ

قال ﷻ قَبْلَ هَذِهِ الآيَةِ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا﴾ [البقرة: 168]، فجعلَ الطَّيِّبَ وصفًا للحلالِ، وبه يكونُ قد جَمَعَ بينَ لفظي الحَلَالِ والطَّيِّبِ، وفي قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ اقْتَصَرَ على لفظِ الطَّيِّبَاتِ، وسرُّ ذلك دفعُ ما قد يظُنُّه أقوامٌ "أَنَّ التَّوَسُّعَ في المَطَاعِمِ، والاسْتِكْثَارَ مِنْ طَيِّبَاتِهَا، مَمْنُوعٌ مِنْهُ؛ فَأَبَاحَ اللَّهُ تعالى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: كُلُوا مِنْ لَذائِذِ مَا أَحْلَلْنَاهُ لَكُمْ، فَكان تَخْصِيصُهُ بِالذِّكْرِ لِهَذا المعْنَى"[3]، أو "لِأَنَّ المؤْمِنَ أَبَاحَ اللَّهُ لَهُ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ، خَالِصَةً مِنَ التَّبِعَةِ، ولِأَنَّ إِيمَانَهُ يَحْجِزُهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا لَيْسَ لَهُ"[4].

دَلالَةُ حرفِ (مِنْ) في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾:

بَـعْـضُ الـرِّزْقِ لَـيْـسَ حَـلَالًا، والمـأذونُ فيه الحلالُ الطَّيِّب

"مفعولُ ﴿كُلُواْ﴾ محذوفٌ، أي: كُلوا رزقَكم، وفي ﴿مِن﴾ حينئذٍ وجهان، أحدُهما: أَنْ تكونَ لابتداءِ الغايةِ فتتعلَّقَ بـ﴿كُلُواْ﴾، والثَّاني: أَنْ تكونَ تبعيضيَّة فتتعلَّق بمحذوفٍ؛ إذ هي حالٌ من ذلك المفعولِ المقدَّرِ، أي: كُلوا رزقَكم حالَ كونِهِ بعضَ طيباتِ ما رزقناكم"[5].

وعلى القولِ بأنَّ ﴿مِن﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ تَبْعِيضِيَّةٌ؛ فالطَّيِّبُ هُنَا يَجْمَعُ الحَلَالَ المُسْتَلَذَّ، والآيَةُ

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/109.
(2) إبراهيم الأبياري، الموسوعة القرآنيّة: 9/134.
(3) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/190.
(4) السّعدي، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 81.
(5) السمين، الدر المصون: 2/234.

تُشيرُ بتَبْعِيض ﴿مِن﴾ إلى أَنَّ الحَرَامَ رِزْقٌ[1]، ووَجْهُ دَلَالَتِهَا على ذَلِكَ مِنَ المفْهُوم؛ لِأَنَّ مَفْهُومَهُ أَنَّ البَعْضَ الآخَرَ -وَهُوَ الذي لَيْسَ بِحَلَالٍ ولَا مُسْتَلَذٍّ- غَيْرُ مَأْذُونٍ فِيهِ[2].

سِرُّ اختيارِ لفظِ الطَّيِّباتِ في قوله: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾:

اشتمالُ اللَّفظِ على التَّحليلِ والتَّعليلِ

الطَّيِّباتُ من رَزقِ اللَّه تَعالَى، فَهُنَا نِعْمَتَانِ أَنعَم اللَّه تَعالَى بِهِمَا، وهما: نِعْمَةُ الرِّزْق والعطاء، ونِعمَةُ الإباحة للطَّيِّبات، وكَان الشُّكْرُ على النِّعْمتيْنِ واجِبًا[3]، واختير لفظُ الطَّيِّبات لبيانِ أنَّ هذه المأكولات هي طيِّبات، فاشتملَ اللَّفظُ على التَّحليلِ، وعلى التَّعليلِ، فهو تعليلٌ لأكلِ الطِّيباتِ والانتفاعِ بها.

توجيهُ المتشابه اللّفظيّ:

خطابُ الرُّسلِ يختصُّ بنوعِ دلالةٍ عن سائرِ المُؤمنين

لسائلٍ أن يسأل عن الفرقِ في النَّظم بين ما جاء هنا في قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾، وبين قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: 51]، "مَعَ أَنَّ تِلْك خِطَابٌ لِلرُّسُلِ؛ فَهُوَ قَد كان أَولَى بِهَذا اللَّفْظِ؟ وعادتُهم يُجيبون بِوَجْهَيْنِ:

الأوَّل: أَمَّا إذا قُلنَا: إنَّ الرِّزْق لا يُطْلَقُ إلَّا على الحلَالِ، فَنقُول: لَمَّا كان الأَنْبياءُ معْصومين، أُمِرُوا أَمْرًا مُطْلقًا مِن غَيْر تَعيين الحلَالِ، وغيرُهم لَيْس بِمعْصوم، فقيّدَ الإذْن في الأَكْلِ لَه بِالحلال فقط، فَيكون الطِّيِّبُ على هذا المرادُ به المُسْتَلَذُّ.

الجَوابُ الثَّاني: الرُّسُل في مَقَام كَمَالِ التَّوْحيد، ونِسبَةِ كُلِّ الأَشْياءِ إلى اللَّه ﷻ، وأَمَّا غيْرُهم فليْس كَذلِك، فقد يَذْهَلُ حِينَ اقْتِطافِ الثَّمَرَةِ، ويَظُنُّ أَنَّهَا مِنَ الشَّجَرةِ، ويَغْفَلُ عَن كَوْنِ اللَّه تعالى

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 1/239.
(2) تفسير ابن عرفة: 2/505.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/507.

هُو الّذي أخرجَهَا منهَا، وأنْبتهَا، فقيل لَهُم: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ حَتَّى يَعْتَقِدوا حِين التَّناولِ أنَّ ذَلِك الرِّزْقَ كُلَّه من عِنْد اللَّه، وليْسَ لِلْمتَسَبِّبِ فِيه صُنْعٌ بِوَجْهٍ[1].

بَيَانُ دَلَالَةِ ﴿مَا﴾ في قَولِهِ: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾:

تَنَوُّعُ الاحتمالاتِ دَليلٌ عَلى ثَراءِ اللُّغَةِ وسعةِ السِّياقِ

تحتملُ ﴿مَا﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ أكثرَ من تَوْجيهٍ؛ فيَصِحُّ أَنْ تَكُونَ: مَصْدَرِيَّةً، أَيْ: مِنْ طَيِّبَاتِ رِزْقِنَا إِيَّاكُمْ، أوِ اسْمَ مَوْصُولٍ والجُمْلَةُ صِلَةٌ، أَيْ: مِنْ طَيِّبَاتِ الشَّيْءِ الّذي رَزَقْنَاكُمُوهُ، أَوْ نَكِرَةً مَوْصُوفَةً والجُمْلَةُ صِفَةٌ، أيْ: شَيْءٍ رَزَقْنَاكُمُوهُ[2].

التَّعْظِيمُ في الخِطَابِ بِضَميرِ الجَمْعِ لِبَيَانِ الامْتِنَانِ:

أُسنِد الرِّزقُ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾: "إلى ضَمِيرِ المتَكَلِّمِ بِنُونِ العَظَمَةِ؛ لِمَا في الرِّزْقِ مِنَ الامْتِنَانِ والإحْسَانِ"[3].

دَلالَةُ الأمرِ في قولِه تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾:

وُجوبُ الاعْتِقادِ بِعَظَمةِ اللهِ بِالقَلبِ واللِّسانِ والجَوارِحِ

جَاءَ الأَمْرُ بِالشُّكْرِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ والمرادُ به: إظْهَارُ تَعْظِيمِ اللّه تعالى، وفي بَيَانِ ذَلِكَ قال الرَّازي: "قَوْلُهُ: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ أَمْرٌ وليْسَ بِإِبَاحَةٍ، فَإِنْ قِيلَ: الشُّكْرُ إِمَّا أَنْ يكون بِالقَلْبِ أَوْ بِاللِّسَانِ أَوْ بِالجَوَارِحِ؛ أَمَّا بِالقَلْبِ فَهُوَ إِمَّا العِلْمُ بِصُدُورِ النِّعْمَةِ عَنْ ذَلِكَ المنْعِمِ، أَوِ العَزْمُ على تَعْظِيمِهِ بِاللِّسَانِ وبِالجَوَارِحِ، أَمَّا ذَلِكَ العِلْمُ فَهُوَ مِنْ لَوَازِمِ كَمَالِ العَقْلِ، فَإِنَّ العَاقِلَ لا يَنْسَى ذَلِكَ، فَإِذا كان ذَلِكَ العِلْمُ ضَرُورِيًّا فَكَيْفَ يُمْكِنُ إِيجَابُهُ؟ وأَمَّا العَزْمُ على تَعْظِيمِهِ بِاللِّسَانِ والجَوَارِحِ، فَذَلِكَ العَزْمُ القَلْبِيُّ مَعَ الإِقْرَارِ بِاللِّسَانِ والعَمَلِ بِالجَوَارِحِ، فَإِذا بَيَّنَّا أَنَّهُمَا لا يَجِبَانِ كان العَزْمُ بِأَنْ لا يَجِبَ أَوْلَى، وأَمَّا الشُّكْرُ بِاللِّسَانِ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يُقِرَّ بِالاعْتِرَافِ لَهُ بِكَوْنِهِ مُنْعِمًا أَوْ

(1) تفسير ابن عرفة: 2/505-506.

(2) حاشيّة الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 72.

(3) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/109.

بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، فَهَذا غَيْرُ واجِبٍ بِالاتِّفَاقِ، بَلْ هُوَ مِنْ بَابِ المَنْدُوبَاتِ، وأَمَّا الشُّكْرُ بِالجَوَارِحِ والأَعْضَاءِ، فَهُوَ أَنْ يَأْتِيَ بِأَفْعَالٍ دَالَّةٍ على تَعْظِيمِهِ، وذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ واجِبٍ، وإِذا ثَبَتَ هَذا فَنَقُولُ: ظَهَرَ أَنَّهُ لا يُمْكِنُ القَوْلُ بِوُجُوبِ الشُّكْرِ، قُلْنَا الَّذي تَلَخَّصَ في هَذا البَابِ، أَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ اعْتِقَادُ كَوْنِهِ مُسْتَحِقًّا لِلتَّعْظِيمِ، وإِظْهَارُ ذَلِكَ بِاللِّسَانِ أَوْ بِسَائِرِ الأَفْعَالِ، إِنْ وُجِدَتْ هُنَاكَ تُهْمَةٌ"[1].

دلالةُ إرداف الأَمْرِ بِالشُّكْرِ بعد الأمرِ بالأكلِ:

شُكْرُ الله تعالى سلوكُ الأوفياء، ومنهجُ الأتقياء

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾؛ "أَرْدَفَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وتعالى الأَمْرَ بِالأَكْلِ مِنَ الطَّيِّبَاتِ بِالأَمْرِ بِالشُّكْرِ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الإِبَاحَةَ لِلطَّيِّبَاتِ نِعْمَةٌ، والنِّعْمَةُ تُوجِبُ الشُّكْرَ مِنَ المُنْعِمِ الذي أباحَ ومكَّن، والشكرُ يكونُ بتركِ المعاصي ولزومِ الطَّاعات والتّقوى، والتَّقرُّب إليه سبحانه وتعالى، وطلب رضوانه"[2].

براعةُ الالتفاتِ من التَّكلُّمِ إلى الغَيْبةِ:

الأوامر الشَّرعيّةُ مقترنةٌ بالقيمِ التَّربويّة

في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ﴾ "التِفَاتٌ مِنْ ضَمِيرِ المُتَكَلِّمِ إلى الغَيْبَةِ؛ إِذْ لَوْ جَرَى على الأُسْلُوبِ الأَوَّلِ لَقال: (وَاشْكُرُونَا)"[3]، "وَحِكْمَةُ ذَلِكَ ظَاهِرَةٌ؛ لِأَنَّ هَذا الاسْمَ الظَّاهِرَ مُتَضَمِّنٌ لِجَمِيعِ الأَوْصَافِ الَّتِي مِنْهَا وصْفُ الإِنْعَامِ والرَّزْقِ والشُّكْرِ، لَيْسَ على هَذا الإِذْنِ الخَاصِّ، بَلْ يُشْكَرُ على سَائِرِ الإِنْعَامَاتِ والامْتِنَانَاتِ الَّتِي مِنْهَا هَذا الامْتِنَانُ الخَاصُّ"[4]، و"لِتَرْبِيَةِ المَهَابَةِ"[5]، و"لِعَظَمِ الاهْتِمَامِ بِهِ سُبْحَانَهُ"[6].

---

(1) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/191.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/507.
(3) القِنَّوجي، فتح البيان: 1/341.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/109.
(5) محمود عبد الرّحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن: 2/342.
(6) الدّرويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/243.

سرُّ تعديةِ فعلِ (شَكَرَ) باللّامِ لا بنفسِه:

التَّخفيفُ عن العبادِ في التَّكاليفِ أوفقُ بأحوالِهم، وأرفقُ بقدراتهم

قال ﷻ: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾ ولَمْ يَقُل: (اشْكُرُوني) لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ فَرقٍ، فـ(شَكَرْتَ لَهُ): أَنْ تَعْتَبِرَ إِحْسَانَهُ الصَّادِرَ عَنْهُ، فَتُثْنِي عَلَيْهِ بِذَلِكَ، و(شَكَرْتَهُ): إذا لَمْ تَلْتَفِتْ إلى فِعْلِهِ، بَلْ تَجَاوَزْتَ إلى ذِكْرِ ذاتِهِ دُونَ اعْتِبَارِ أَحْوَالِهِ وأَفْعَالِهِ، وإنّمَا قال: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ﴾، ولم يَقُلْ: (واشكُروني)؛ عِلْمًا بِقُصُورِهِمْ عَنْ إِدْرَاكِهِ، بَلْ عَنْ إِدْرَاكِ آلَائِهِ، كَمَا قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآ﴾ [النحل: 18]، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَعْتَبِرُوا بَعْضَ أَفْعَالِهِ في الشُّكْرِ[1]، وفي ذلك تخفيفٌ عن العبادِ، بحسبِ ما يستطيعونَه من الشُّكرِ، ويتفاوتون فيه من مراتبِ التَّوجُّهِ إليه.

دِلالةُ الشَّرطِ في قوله: ﴿وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾:

الشَّرْطُ غايَتُهُ التَّثبُّتُ وهَزُّ النُّفوسِ، رَبْطًا لِلعبادَةِ بِالشُّكْرِ

عَلَّقَ النَّظْمُ الأمرَ بالشُّكْرِ بالعِبَادَةِ؛ فجعَلَ شرطَ الشُّكرِ العبادةَ، على معنى: "إِنْ صَحَّ أَنَّكُمْ تَخُصُّونَهُ بِالعِبَادَةِ"[2]، ذلك أنَّه إِنْ كَانَتِ العِبَادَةُ لِلَّهِ واجِبَةً عَلَى العبادِ، لأنَّه إلههم؛ فَالشُّكْرُ لَهُ واجِبٌ بِأَنَّهُ مُحْسِنٌ إِلَيْهِمْ، فَمَعْنَى الشَّرْطِ هَاهُنَا: المظَاهَرَةُ في الحِجاجِ[3]؛ فلا "يُرَادُ بِالشَّرْطِ هُنَا إلّا التَّثَبُّتُ والهَزُّ لِلنُّفُوسِ، وكأَنَّ المعْنَى: العِبَادَةُ لَهُ واجِبَةٌ، فَالشُّكْرُ لَهُ واجِبٌ، وذَلِكَ كَمَا تَقُولُ لِمَنْ هُوَ مُتَحَقِّقُ العُبُودِيَّةِ: إِنْ كُنْتَ عَبْدِي فَأَطِعْنِي، لا تُرِيدُ بِذَلِكَ التَّعْلِيقَ المحْضَ، بَلْ تُبْرِزُهُ في صُورَةِ التَّعْلِيقِ، لِيكون أَدْعَى لِلطَّاعَةِ وأَهَزَّ لَهَا"[4]، فالأمرُ بالشُّكرِ من قبيلِ إطلاقِ اسْمِ الأَثَرِ على المُؤَثِّرِ[5].

دلالةُ تقديمِ ﴿إِيَّاهُ﴾، وتأخيرِ (الفِعْلِ):

الدّلالةُ على العبادةِ الكاملةِ الخاصّةِ به سبحانه وتعالى

قُدِّم ﴿إِيَّاهُ﴾ وهو مَفْعُولُ ﴿تَعۡبُدُونَ﴾ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾: "لِكَوْنِ العامِلِ فِيهِ وقَعَ رَأْسَ آيَةٍ، ولِلاهْتِمامِ بِهِ والتَّعْظِيمِ

(1) البروسويّ، روح البيان: 1/256.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 1/214.
(3) الواحديّ، التّفسير البسيط: 3/495.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/110.
(5) الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 5/191.

لِشَأْنِه، لِأَنَّهُ عائِدٌ على اللَّه تعالى، كما في: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: 5]، وهَذا مِنَ المواضع الَّتي يَجِبُ فِيها انْفِصالُ الضَّمِيرِ، وهُوَ إِذا تَقَدَّمَ على العامِلِ أَوْ تَأَخَّرَ، لَمْ يَنْفَصِلْ إِلّا في ضَرُورَةٍ"[1]؛ والمعنى: "تَخُصُّونَهُ بِالعِبادَةِ، وتُقِرُّونَ بِأَنَّه إِلَهُكُمْ لا غَيْرُهُ"[2]، فقدّمَ ﴿إِيَّاهُ﴾ لِإِفادَةِ الاخْتِصاصِ؛ "أَيْ: واشْكُرُوا لَهُ، لِأَنَّكُمْ تَخُصُّونَهُ بِالعِبادَةِ؛ وتَخْصِيصُكُمْ إِيّاهُ بِالعِبادَةِ، يَدُلُّ على أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ عِبادَةً كامِلَةً تَلِيقُ بِكِبْرِيائِهِ"[3].

أثرُ السِّياقِ في تقديرِ جَوابِ الشَّرْطِ المحْذُوفِ

جَوابُ الشَّرْطِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ مَحْذُوفٌ، وقد دَلَّ عَلَيْهِ ما قَبْلَهُ، وهو الأَمْرُ، أَيْ: فَكُلُوا مِنْ طَيِّباتِ ما رَزَقْنَاكُمْ واشْكُرُوا لِلَّهِ[4]، ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝١٧٢﴾ فاشْكُرُوا للّه.

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 2/110.
(2) القِنَّوجي، فتح البيان: 1/341.
(3) محمود عبد الرّحيم صافي، الجدول في إعراب القرآن: 2/343.
(4) الصاوي، حاشية الصّاوي على تفسير الجلالين، ص: 72.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»